رئيس التحرير المسؤول
العميد منير عقيقي

جمهورية المتاهات

يسَع المرء ان يصف لبنان بجمهورية المتاهات، فلا شيء يعمل في هذا البلد. وما يزيد الطين بلة هو الصراعات "الدونكيشوتية" بين مختلف القوى السياسية. فجميعهم يتقاتلون على جنس الملائكة، لكنهم لا يقاربون مصائر اللبنانيين لا من قريب ولا بعيد، ولا يعملون على حلها. يتصارعون على الارض من اجل السماء، وباسم السماء يتحالفون للاستيلاء على الارض وتقاسمها، ثم يشحذون الهمم الطائفية البغيضة والمذهبية المقيتة ما استطاعوا الى ذلك سبيلا، ويتركون البلد ينهار على رؤوس الجميع.

لم يبق من الدولة الا هياكلها المتصدعة، ولم يعد هناك من مؤسسات قائمة وفاعلة. في الاثناء، يعيش اللبنانيون حيرة ما بعدها حيرة حول صلاحيات الحكومة او مجلس النواب، فيما موقع رئاسة الجمهورية شاغر والحرب الضارية التي تشنها اسرائيل على الجنوب لا تستفز ايجابا القوى للتنافس على تغطية البلد سياسيا، فاضحت البلاد سبيا مسبيا. اكثر ما يفتقده اللبنانيون في هذا الزمن الرديء هو العقلاء من الساسة الذين يقدمون لبنان على مصالحهم.

الغلبة الغالبة من السياسيين يبدو انها تعمل لـ"اجندات" مختلفة. كانت على الدوام ترتبط بسياسات خارجية، ولماذا تتغير الان؟ لم يحدث ان تم تشبيك عرى هؤلاء مع الخارج الى هذا الحد. وما يثير الدهشة والفظاظة، ان الكثرة من اللبنانيين تتحدث بأريحية عن ضرورة استقدام تدخل دولي واقليمي لانجاز انتخابات رئاسة الجمهورية، وحتى استجداء تأليف الحكومة المقبلة بكل ركائزها الى بيانها الوزاري، وكأن ما يحصل هو شيء عادي جدا، على اعتبار انه من واجبات الخارج تلبية طلبات اللبنانيين بكل اشكالها، لأن لا وقت لديهم.

امام ما وصلنا اليه، فلنقبل بالواقع على علاته وامراضه، لكن في المقابل هل يحق للبناني ان يسأل ساسته: مَن انتخبهم؟ المواطن نفسه ام الخارج؟ اذا كان هو، فحق له وعليهم ان يجيبوه عن مصيره في دولة تتآكل يوما بعد يوم. اما اذا كان الخارج على كثرته هو من فعل ذلك، فهذا شأن آخر صار يستدعي التبصر بمعنى السيادة والاستقلال والقَسَمْ الرئاسي. واكثر من ذلك، صار يستدعي سؤالا جوهريا عن معنى البلد وما اذا كان ساحة او صندوقة بريد.

تداخلت الامور في جمهورية المتاهات حداً صار يصعب معه النقاش الذاتي حول المواطنة والشراكة الوطنية. كما صارت المواطنة في مثل حال كهذا مسألة ترف لا شرطا اساسيا من شروط العيش. وبهذا المعنى صار على اللبنانيين ان يستنكفوا عن المغامرة بالبيت اللبناني المشترك، وان يتصرفوا كالجاليات المقيمة او العاملة على الاراضي اللبنانية طالما ان شيئا لا يحرك غيرتهم على ارضهم وهويتهم.

لقد جرب الجميع الخارج وبلا اي حرج. والسؤال المطروح: الم يحن الاوان بعد للعودة الى لبنان بشروط لبنانية صافية ومن دون اي خجل؟ كلنا خبِرنا بالمحن والمآسي معنى تقديم الخارج على المصلحة الَوطنية، فكان ما كان من خراب عميم في العيش والاقتصاد والاجتماع. ولئن صح ان الحيوية السياسية مطلوبة في النظام الديموقراطي بوصفها ضرورة من ضرورات النظام واليات اشتغاله، الا ان هذه الحيوية تبقى معلقة على مصلحة الداخل. واذا كان التنافس في حالها امرا مشروعا، يبقى ان هذه المشروعية رهن طرح برامج فعلية وليست دعائية للدفع بلبنان الى الامام وبما يليق بشعبه، وان نكء جراح الماضي ما عاد يجدي نفعا، وكل السجالات في هذا السياق لم تفعل غير بعث الالم وتصديع الوحدة الوطنية والعيش المشترك.

صار لبنان اثرا بعد عين جراء المناكفات التي تفيض بالاتهامات المتبادلة وبين الجميع وضد بعضهم البعض، وللامانة لم يبقَ مَن يمكنه معايرة غيره. وما يحصل حاليا هو تفريغ للمعنى الدستوري والسياسي لفكرة الدولة. هذا بدأ مع التمديد سابقا للمجلس النيابي، وحدث مع الفراغات المتعاقبة في سدة الرئاسة الاولى. وبين الاثنين كانت على الدوام حكومات تستهلك عاما وما يزيد لتتشكل في بلد ليس فيه امكانات او ترف الاستسهال السياسي.

إلى العدد المقبل